﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ [الحجّ: 40]

مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مِـــن أبـشـع الظُّلم التَّضييقُ عـلى الـنّـاس في عباداتهم

لَمّا أذِن الله تعالى في الآية السّابقة لعباده المظلومين أن يقاتِلوا الكفّارَ، وأن يدفعوا عن أنفسهم ظُلمَهم، ذَكَرَ ﷻ هنا سببًا آخر لذلك الإذن بالقتال، هو أنّهم لاقوا منهم أشدَّ العَنَتِ وأبشعَ الظّلم؛ إذ ضيَّقوا عليهم حتّى أخرجوهم من ديارهم الّتي تعلَّقَت بها نفوسُهم، فآثروا الفرارَ بدينهم على البقاء في ديارهم؛ "فجاء وصفُهُم بما يبيّنُ مَظلوميتَهم على وجهٍ يجمعُهم ويوثّقُهم باللّه"[1]، ووجه بيان ظلمهم؛ أنّ الخروجَ مِنَ الدّيار والبعدَ عنِ الأوطان ظلمٌ في نفسه، فكيف إذا كان بغيرِ سببٍ مُسوِّغ أو حقٍّ[2].

شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿دِيَٰرِهِم﴾: (دور) أصلٌ واحدٌ يدُلُّ على إحداق الشَّيء بالشَّيء من حَوالَيه[3]، والدّيار جمع الدّار، والدّار: المَحَلُّ يَجمَعُ البناءَ والعَرصَةَ، أُنثى؛ قال ابنُ جنّي: هي مِن دارَ يَدورُ لِكثرة حركاتِ النّاسِ فيها[4]، والدّار: المَنزِل مَبنيّةً كانت أو غيرَ مَبنيّةٍ، وهي مُؤنَّثة، وتصغيرها: دويرة، وجمعها في أدنى العدد: أدؤر، والكثير: الدّور، وربَّما قالوا: دارة؛ في مَوضِع الدّار[5]، والمعنى في الآية واضح.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 229، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4992.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 56.
(3) ابن فارس: مقاييس اللّغة: (دور).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (دور).
(5) العسكريّ، التّلخيص في معرفة أسماء الأشياء، ص: 169.

2) ﴿دَفْعُ﴾: (دفع) أصلٌ واحدٌ مشهورٌ يدُلُّ على تَنحية الشّيء، يُقالُ: دفعتُ الشّيءَ أدفعُهُ دَفعًا، ودافَعَ اللّهُ عنه السّوءَ دِفاعًا[1]، والدَّفع: الإزالة بقوةٍ وتدافَعوا الشّيءَ: دَفَعَه كُلُّ واحِدٍ مِنهُم عَن صاحِبِهِ، وتدافَعَ القومُ؛ أيْ: دفَعَ بعضُهم بَعضًا[2].

3) ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾: (هدَّ) أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على كَسرٍ وهَضمٍ وهَدمٍ، وهَدَدتُهُ هَدًّا: هَدَمتُهُ، ويَرجِعُ البابُ كُلُّهُ إلى هذا القياس"[3]، والهَدمُ: نَقضُ البناءِ وإسقاطُه، وكذلك التَّهديم، قال اللّه تعالى: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ﴾، والهَدَمُ: ما تَهَدَّمَ من جَوانب البئر فسَقط فيها[4]، والهَدم: التّخريب، ويقعُ على كلِّ البناء، فما دامَ شَيءٌ مِنَ البناء لا يكون هدمًا ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ﴾؛ معناهُ: أنَّها هُدِّمَت حتَّى صارَت غيرَ صوامِع[5].

4) ﴿صَوَامِعُ﴾: (صمع) أصلٌ واحدٌ، يدُلُّ على لَطافَةٍ في الشَّيءِ وتَضامّ[6]، والصَّوامِعُ: مَنازِلُ الرُّهبان، قال بَعضُهم: كلُّ مُنضَمّ مُتَصَمِّعٌ، والصَّومَعة من ذلك، وقال أيضًا: ثَريدَةٌ مُصَمَّعة: مُدَقَّقَة، وصَومَعَتُها: ذِروَتُها، وصَومَعَةُ الرّاهِب منها، أو هي منها لأنّها مُدَقَّقَةٌ، ويُقالُ: صَومَعٌ أيضًا بلا هاءٍ، والعِقابُ: صَومَعَةٌ؛ لأنّها أبدًا مرتَفِعَة مُنتَصِبَة على شَرَفٍ، والصَّوامِعُ: البَرانِس[7].

5) ﴿وَبِيَعٌ﴾: البيعةُ: كنيسة النَّصارَى، وجَمعُها: بِيَعٌ، قال اللّه ﷻ: ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾[8].

6) ﴿وَصَلَوَاتٌ﴾: صلوات اليهود: كنائسُهم، أيْ: مَواضِع الصّلوات، وقيل: إنَّها مَواضِعُ صلوات الصّابئين، وقيل: معناه: لهُدِّمَت مَواضِعُ الصَّلَوات؛ فأُقيمَتِ الصّلوات مَقامَها[9]، قال الرّاغب: "ويُسمَّى مَوضِعُ العبادةِ الصَّلاةَ، ولذلك سُمّيت الكنائسُ: صلوات"[10]؛ ومِنَ الأخير المعنى المُراد في الآية الكريمة.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دفع).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (دفع).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هد).
(4) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: (هد).
(5) أبو البقاء، الكُلِّيّات، ص: 963.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صمع).
(7) الدينيّ، المَجموع المُغيث: (صومع).
(8) الخليل، العين: (بيع).
(9) ابن منظور، لسان العرب: (صلت).
(10) الرّاغب، المُفردات: (صلا).

7) ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾: المَساجِدُ: السُّجودُ ومَواضِعُه مِنَ الجَسَدِ والأرضِ، الواحِدُ: مَسجَدٌ والمَسجَدُ: مَوضِعُ السُّجودِ نَفسه[1]، ويُراد بالمساجد ههنا: بيوت اللّه المعهودة الّتي تُقامُ فيها صلوات المسلمين.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لـولا مـجـاهـدةُ أعداء الله تعالى لَـضـاعَـت دور العبادة

في هذه الآية الكريمة يصفُ اللّهُ تعالى المؤمنين الّذين أذِن لهم في الآية السّابقة بالدّفاع عنِ النّفس - بأنَّهم الّذين ضيَّقَ عليهم الكفّارُ حتّى اضطرّوهم إلى ترك ديارهم، والفرار بدينهم إلى الحبشة، ثمَّ إلى المدينة المنوّرة، وأخبر تعالى أنّ إخراجَهُم لم يكُنْ لِجُرمٍ ارتكبوه؛ بل كان لِحقٍّ اتَّبعوه، و"لولا ما شرعَه اللّهُ من قتال أعداءِ اللّه وأعدائهم لاستولى أهلُ الشِّرك عليهم، ولَضاعَت مَواضِعُ العبادة في الأرض"[2].

ثمّ أكَّدَ اللّهُ تعالى على سُنّةٍ من سُننِه - الّتي لا تتخلَّفُ - بأنَّه ﷻ ينصرُ مَن ينصرُ دينَه ورُسُلَه، وأنَّ ذلك لا يُعجزُهُ؛ فهو القويُّ العزيز الّذي لا يُغْلَب.."، وقد أنجز سبحانه وعدَه وسُنَّتَه، فسلَّطَ عبادَه المؤمنين مِنَ المُهاجرين والأنصار على أعدائه؛ فأذلّوا الشِّرك والمشركين، وحطَّموا الأكاسرة والقياصرة، وأورثَهم أرضهم وديارهم"[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

سرُّ فصل جملة ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوٓاْ﴾:

مِـــن أعـظـم الظُّلم الإخـراجُ مِنَ الدّيار

فُصِلَت جملةُ ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوٓاْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ عمّا قبلها لِما بينهما من كمال الاتّصال؛ إذِ الثّانية بدلٌ مِنَ ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ في الأولى، والبدل عين المُبدل منه؛ فلم يَحتَجْ إلى واصلٍ لفظيٍّ يصلُهُ به، وإنَّما يتَّصلان ويلتحمان من تلقائهما؛ وتلك خصيصة تزيدُ التّراكيبَ

(1) ابن عبّاد، المُحيط في اللّغة: (سجد).
(2) حجازيّ، التّفسير الواضح: 2/ 590.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 318.

وثاقةً، وتجعلُ توالُدَ المعاني ونَسلَها من بعضها البعض متينَ الصّلة مُتآزرَ اللُّحمَة.

دلالة التّعبير بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

اسـمُ المـوصـول عُـنصر تشويقٍ بـمـا فـيـه مـن إبهام

التَّعبير باسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾ من عناصر التَّشويق إلى ما وراءه من كواشف إبهامه؛ لأنّه فقيرُ الدّلالةِ يَطلبُ ما يَسُدُّ فَقرَ دلالته، فإذا جاءَت جملةُ الصِّلة تمكَّنَت في النَّفس فضلَ تمكُّنٍ، وصارت هي الأخرى عُنصرَ تشويقٍ؛ وتَطلب ما وراءها من تفاصيلِ قيودها ومتعلِّقاتها، ثمّ يَطلبُ كلُّ ذلك ما وراءه مِنَ الخبر الّذي زادَ الشّوقُ إليه، فيكون في لذّةِ ما حُصِّلَ بعد معاناةٍ.

كذلك يحقِّقُ الموصولُ "إيماءً إلى أنَّ المُراد بالمقاتلة الأذى، وأعظمُه إخراجُهم من ديارهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: 191]"[1]، ويمكن رفعُ الموصول على أنّه "خبرٌ لمبتدأ محذوف؛ تنويهًا بقَدرهم ورفعًا لشأنهم"[2]، كما يحتمِلُ محلُّهُ النَّصب والرَّفع؛ فمحلُّ النّصبِ على المدحِ، ومحلُّ الرَّفعِ بإضمارِ مبتدأ، والجملةُ مرفوعة على المدح[3].

لطيفة التَّعبير بالإخراج دون التَّهجير:

العـبـدُ مُـطـالَـبٌ بـبـذل جـهـده ثـمّ يَـنـتـظِـرُ تـدخُّـلَ الله تعالى بقدرته

إخراجُ المؤمنين من ديارهم "أحدُ ما ظُلموا به"[4]، وفي التّعبير به كنايةٌ عن شدَّة الاضطهاد الّذي عانَوه؛ وأنَّه لم يبقَ أمامهم من سبيل إلّا الخروجُ؛ وما بقيَت لديهم من قوّةِ احتمالٍ؛ ليبقَوا في ديارهم، وأنَّهم تحمَّلوا مِنَ الأذى في سبيل الحفاظ على دينِهم ما لا يُمكِنُهُم بعده احتمالُ ما فوقه.

وفي ذلك إشارةٌ إلى أنَّ العبدَ مُطالَبٌ ببذل جهده أوَّلًا، ولا يُكلِّفُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 274.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 438.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 109.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 69.

اللّه تعالى نفسًا إلّا وسعَها، وإلّا ما آتاها، ثمَّ يَنتظِرُ تدخُّلَ اللّه تعالى بقدرته الّتي لا يقومُ لها شيءٌ.

سرُّ بناء الفعل ﴿أُخْرِجُواْ﴾ للمجهول:

مَن يظلِمُ النّاسَ حقيقٌ بالإبعاد ولا يستحِقُّ شرفَ الذِّكر

في بناء الفعل ﴿أُخْرِجُواْ﴾ للمجهول؛ أوَّلًا: اتِّساقُه مع بناء الأفعال قبلَه وبعدَه لغير فاعليها، فقبله ﴿أُذِنَ﴾، ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾، وبعده ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾... الآية/ إلى آخره، وثانيًا: يُشتَمُّ من بناء الفعل ﴿أُخْرِجُواْ﴾ للمجهول ذَمًّا لِمَن أخرَجوهم، وتحقيرًا لهم بإبعاد ذِكرهم، وتجاهُل شأنهم، وإنكار صنيعهم؛ وأنَّهم مِنَ الجُرم والإثم بحيث لا يُستحضَرُ ذِكرُهم؛ بل يُبعدون إلى ساحة التَّجاهل والنِّسيان.

بلاغة المجاز في الفعل ﴿أُخْرِجُواْ﴾:

مَن كان سببَ الفعل فهو شريكٌ فيه وحاملٌ لتبعاته

الكفّارُ لم يُخرِجوا المؤمنين من ديارهم حقيقةً إخراجًا مباشرًا؛ بل "ضيَّقوا عليهم حتّى خرجوا بأنفسهم، فأُضيف الإخراجُ إليهم لمّا كانوا أسبابًا لخروجهم، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البقرة: 36]، وإبليس لم يَتَوَلَّ إخراجَهما مِنَ الجنّة، ولكن حرَّضَهما على سببِ إتيانه؛ فلم يستقرّا بعده في ذلك المكان؛ فأُضيفَ الفعلُ إليه"[1]، وإلى ذلك أُسنِدَ الإخراجُ إلى الكفّار؛ "لأنَّ الكلامَ في مَعرِض تقرير الذَّنب وإلزامه"[2]؛ فكان إثباتُ الإخراج للكفّار أوجبَ لذمِّهم، وأكشفَ لدورهم الآثم في ذلك الخروج.

معنى ﴿مِن﴾ في ﴿مِن دِيَٰرِهِم﴾:

مِن أشقِّ المَشاقِّ مفارقةُ النَّفس إلفَها مِن أهلٍ وأوطانٍ وغيرهما

﴿مِن﴾ في قوله تعالى: ﴿أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ حرفُ ابتداء ومجاوَزة، وهي تفيد ابتداءَ الغاية، وأنّ المؤمنين المظلومين كأنّهم اقتُلِعوا من مَغارِسِهم الأصليّة الّتي نَبَتوا فيها ولهم بها عُلقة نفوس؛

(1) الماتُريديّ، تأويلات أهل السُّنَّة: 9/ 589.
(2) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 124.

فإنّهم لم يَخرجوا بمحض إرادتهم؛ بل اضطُرّوا إلى الخروج منها ومجاوزتها إلى حيث يأمنون على دينهم وأنفسهم.

وما أشقَّ مُفارَقةَ النَّفس إلْفَها مِن أهلٍ وأوطانٍ وسواهما؛ لذلك كانَتِ الكنايةُ بالإخراج بارعةً في تصوير شدَّة المعاناة النّفسيّة، فضلًا عنِ المعاناة البدنيَّة للنَّجاة بالدّين الحقِّ والنَّفس، ولا تزال ترنُّ في أسماع الأُمَّة المَقولةُ الخالدةُ للرَّسول ﷺ، وهو يَنظرُ إلى مكَّةَ: "إنَّكِ لأحَبُّ أرضِ اللهِ إليَّ، ولَولا أنَّ قَومي أخرَجوني مِنكِ، ما خَرَجتُ"[1].

دلالة إيثار لفظ ﴿دِيَرِهِم﴾:

ديـارُ المـرء أعـزُّ عليه وأحبُّ إليه من مَنازِله

جاء القيدُ بالجارِّ والمجرور: ﴿مِن دِيَرِهِم﴾ بإيثار اسم الدّيار دون المَنازِل والأوطان؛ لأنَّ معنى الدّار يُصرِّح بمركزيّة الوجود فيها، وأنَّ صاحبَها يدورُ عليها، ويأوي إليها، مهما غاب عنها، وإلى ذلك فإنَّ ذِكرَ الدّار يُغني عن ذِكر الأوطان والمَنازِل، ولا يُغنيان عنها؛ فللأوطانِ دلالةٌ عامَّةٌ وارتباطٌ آخر غير ارتباط الدّيار، والمَنازِلُ مَواضِعُ النُّزول، والنُّزولُ قد يكون مُؤقَّتًا، كما يَنزِلُ المُسافِرُ في نُزُلٍ ثُمَّ يغادِرُ؛ لذا فذِكرُ الدّيار يعكِسُ مدى ارتباط أصحابها - الّذين أُخرجوا منها - بها، ومدى تعلُّقِ نفوسهم بذكرياتهم الحبيبة فيها، ففي الإخراج منها كنايةٌ عن شدَّة المعاناة الّتي يَتعنّاها أهلُها بإخراجهم منها.

نكتة الإضافة في ﴿دِيَرِهِم﴾:

إضـافـة الـدّيـار إلـى أصحابها تعكِسُ اعتلاقَ نفوسهم إيّاها

ويُقرِّرُ المعنى السّابق إضافةَ الدّيار إلى ضميرهم ﴿دِيَرِهِم﴾، الّتي تَعتلِقُها نفوسُهم كما يَعتلِقُ ذِكرُها ضميرَهم؛ فهي مِلكٌ لهم خاصَّةٌ بهم حبيبةٌ إليهم، فإذا كانت ﴿دِيَرِهِم﴾ بهذه المعنى من

(1) ابن المُبرِّد الحنبليّ، التّخريج الصّغير والتّحبير الكبير، حرفُ النُّون: 3/ 185، برقم: (1079)، والحديث برواية أخرى في مسند أحمد، برقم: (18737).

نفوسهم؛ كان إخراجُهُم منها شديدًا على نفوسهم، وظهرَت بتلك الإضافة مُضاعَفةُ الهمِّ، وثقلُ الغَمِّ عليهم، وتجلَّى مدى الظُّلم الّذي تجرَّعوه بإخراجهم منها؛ ممّا اقتضى تطمينَهم بالخبر العظيم ﴿لَقَدِيرٌ﴾ في خاتمة الآية السّابقة.

سرُّ التّقييد ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾:

الإبعاد بجريرةٍ يُهوِّن على النَّفس بخلاف الإبعاد بدونها

تَتضاعَفُ معاناةُ هؤلاء المظلومين، ويتأكَّدُ ثِقَلُ ظُلمهم وهمّهم، إذا كان إخراجُهم ﴿مِن دِيَـٰرِهِم﴾ ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ لأنّ الإخراجَ بحقٍّ يُهوِّنُ على النّفس، ويُخفِّفُ ألمَ الفِراقِ ومرارةَ الإبعاد؛ لذلك أيضًا كان إذنُ الله تعالى بأنَّه ﷻ على نصرهم لَقديرٌ.

سرُّ الاكتفاء بالإخراج من ﴿دِيَـٰرِهِم﴾ دون (أموالهم):

الإخراجُ مِنَ الدّيار يَستلزمُ الإخراجَ مِنَ الأموال مِن غير عكس

اكتفَتِ الآيةُ الكريمةُ هنا بذِكر الإخراج من ﴿دِيَـٰرِهِم﴾ دون (أموالهم)، في حين جمعت بينهما ذِكرًا في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر: 8]؛ وذلك أنَّ مَقامَ الآية في سورة الحشر يوصي بالمهاجرين خيرًا؛ بتعداد فضائلهم، والدّعوة إلى معرفة حقّهم، ووجوب وصلهم، أمّا هنا فالمَقامُ لِذِكر سبب الإذن للمؤمنين بالقتال، فاكتُفي بذِكر أبشع أنواع الظُّلم، وهو الإخراج مِنَ الدّيار، وهو بالضّرورة يشمَلُ ما تحته مِنَ الإخراج مِنَ الأموال وغيره.

معنى الباء في ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾:

التّوحيدُ موجِبٌ الإقرارَ والتَّمكينَ لا الإخراجَ والتَّسييرَ

الباء في القيد ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ تُفيدُ معنى السَّبَبيَّة، وتُفصِحُ عن أنّ إخراجَهم مِن ديارهم إنَّما كان ظلمًا واعتداءً، وذلك سببٌ غيرُ حقٍّ حملَ الظّالمين على إخراج المؤمنين، وأنَّهم إنَّما "أُخرِجوا بغيرِ موجِبٍ سوى التّوحيد الّذي ينبغي أن يكون موجبَ الإقرار والتَّمكين لا موجبَ الإخراج والتَّسيير"[1].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 229.

سرُّ العدول عن (ظلمًا) إلى ﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾:

إخراج النّاس مِن ديارهم (بغير حق) يقتضي ظُلمَهم وزيادة

عَدل النَّظمُ الكريمُ عن ذِكر إخراجهم (ظلمًا) إلى ذِكر إخراجهم ﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾؛ لأنَّ إخراجَهم ﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ يَستلزِمُ أن يكونَ ظُلمًا وزيادةً، والزّيادةُ هي النَّصُّ على انعدام (الحقّ) في ذلك الإخراج أصلًا، ولذلك نُكِّرَ ﴿حَقّٖ﴾.

دلالة تنكير ﴿حَقّٖ﴾:

الإخراجُ مِنَ الدّيار قد يكون بحقٍّ وقد يكون بغير حقٍّ

ومن إشارات تنكير ﴿حَقّٖ﴾ أيضًا التّصريحُ بتمام الظّلم الّذي تعرَّض له المؤمنون المخرَجون مِن ديارهم؛ إذ عُدِم منهم كلُّ حقٍّ، وأيّ حقٍّ يمكن أن يكون سببًا مقبولًا، ومنطقيًّا حقيقيًّا لإخراجهم؛ لذلك كان القيدُ به ضروريًّا في توقُّف ذمِّ الظّالمين المُخرِجين عليه؛ لأنَّ مِنَ الإخراج مِنَ الدّيار ما يكون بِحقٍّ كما في أحكام التَّعزير بالتَّغريب وغيره.

معنى ﴿إِلَّآ﴾ في جملة ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾:

أسلوبُ تأكيد المدح بما يُشبه الذَّمَّ عنصرُ إقناعٍ بصحَّة الحُكم

﴿إِلَّآ﴾ هنا مُفرَّغةٌ، والاستثناءُ بها مُنقطِعٌ؛ "أيْ: لكنّهم يقولون: ربُّنا اللّه"[1]؛ لذلك حصل بهذه الجملةِ الشّريفةِ توكيدُ المعنى بما يشبهُ ضدَّه؛ فصورة الأسلوب أنَّهم أُخرِجوا ﴿بِغَيۡرِ حَقّٖ﴾ إلّا حقًّا واحدًا؛ هو قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾، وهذا لا يكون حقًّا موجِبًا للإخراج؛ بل هو موجِبٌ للإبقاء والتَّطمين والتَّكريم.

وهذا الأسلوب معروف في البديع بتأكيد المدح بما يُشبهُ الذَّمَّ[2]، وذلك كقول النّابغة الذُّبيانيّ:

ولا عَيبَ فيهِم غيرَ أنّ سُيوفَهُم *** بِهنَّ فلولٌ من قراعِ الكَتائِبِ[3]

وهو عنصرُ إقناعٍ بصحّة الحُكم المطلوبِ تقريرُهُ؛ وذلك من

(1) الكِرمانيُّ، لباب التّفاسير، ص: 1585.
(2) الصّعيديّ، بغية الإيضاح: 4/ 622.
(3) النّابغة الذّبيانيّ، ديوان النّابغة الذّبيانيّ، ص: 44.

حيثُ إنَّه يوهِمُ نزاهةَ الحُكم وتحريرَ القضية؛ وسبيلُهُ الاجتهاد في البحث عمّا يُتمِّمُ العبارةَ؛ فإذا عُدِم، وكان لا بُدّ من إتمام الكلام؛ جيء بما يُؤكِّدُ المطلوبَ على سبيل الافتراض؛ وعليه فإنْ كان قولُهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ موجِبًا للذَّمِّ، فهو موجِبٌ لإخراجهم، لكنّه ليس كذلك؛ فكان إخراجُهم محضَ ظلمٍ وافتراءٍ.

دلالة المصدر المؤول في ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾:

الجملةُ المصدريَّة تُتيحُ ما لا يُتيحه التَّعبيرُ بالمصدرِ

﴿أَن﴾ في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ مصدريَّة، وهي والمضارع بعدها في تأويل مصدر، والتَّقدير: (أُخرجوا من ديارهم بقولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾)، غير أنّ إيثارَ التّعبيرِ بـ﴿أَن﴾ المصدريَّة دون المصدر نفسه أتاح ذِكْرَ المضارع بما يُطوَى مِن دلالاتٍ، تأتي لاحقًا إن شاء الله تعالى.

وقولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ ليس بحقٍّ يَستوجِبُ الإحراجَ؛ لأنَّه "لا يَضُرُّ بغيرهم؛ فالاعتداءُ عليهم بالإخراج مِن ديارهم لأجل ذلك ظُلمٌ بَواحٌ واستِخدامٌ للقوَّة في تنفيذ الظُّلم"[1].

إشارة التّعبير بـ﴿يَقُولُواْ﴾ دون الإيمان:

أثرُ قول القائل على السّامعين أقوى من أثر اعتقاده الصّامت المكتوم

التّعبيرُ بالقول في الجملة المصدريَّة ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ صريحٌ في أنّ مُجرَّدَ القولِ ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ يغيظُ الكفّارَ، ويستفزُّ عداوتهم لأهل الإيمان؛ لدرجة أن يُخرجوهم من ديارهم، والنّاسُ لا يرَون مُعتقَدَ القائل؛ وإنَّما يكفي منه أنْ يقولَهُ وتُذيعَهُ وتنشرَهُ، فإذا انتشر تأثَّر به سامعوه حتمًا، وقد نعى الله تعالى على قائلي السّوء، وجازاهم به، وذلك صريحٌ في الآية الكريمة: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: 85]، والآية الكريمة: ﴿وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة: 64]؛ فالقول يتعدَّى خيرُه أو شرُّه إلى النّاس بخلاف المُعتقَد الّذي يكون وقفًا على صاحبه.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 275.

والكفّارُ يعلمون أنّ القولَ مِن أخطر ما يُؤثِّرُ في النّاس، بخلاف المُعتقَد المكتوم الّذي يكون وقفًا على صاحبه؛ فالنّاس لا يَرَونَ مُعتقَدَ القائل؛ وإنّما يكفيهم منه أن يقولَه، فإذا قالَه انتشر وتأثَّر به سامعوه، وذلك مَكمَنُ حذر الكفّار هنا، فكان إخراج مَن قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾.

دلالة صيغة المضارعة:

إنّما راع الكفّارَ مِـنَ المـؤمـنـين دعـوتُـهـم إلى التّوحيد لا مُجرَّدَ إيمانهم المكنون

التّعبيرُ بالمضارع في قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ﴾ يُلمِحُ إلى أنّ المؤمنين لا يفترون عن إشاعة كلمة التّوحيد في النّاس، فضلًا عن استكنانها نفوسَهم وسكناها قلوبهم، وأنّ ذلك جُلّ مُهمّتهم في هذه الحياة؛ وذلك يلتقي مع قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: 162].

وتجدُّدُ قول المؤمنين هنا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، وعدمُ سكوتهم، واكتفاؤهم بإيمانهم القلبيِّ، هو السّببُ الأكيدُ في التّضييق عليهم، وإخراجهم من ديارهم.

مَوقِعُ جملة ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾:

مَقولَةُ (ربُّنا الله) مَكرُمَةُ المَكرُمات

جملة ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ مَقولُ قولِ الّذين ﴿أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ﴾، وتلك جريمتهم إنْ كانت في معايير النّفوس القويمة والأخلاق المستقيمة جريمةً، لكنّها بتلك المقاييس مَكرُمةُ المَكرُمات وغايةُ الغايات الّتي ينبغي أن تكون سببَ التّكريم والتّوقير؛ ذلك أنّ قولَ المؤمنين: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ يُفيدُ قصرَ الرُّبوبيَّة عندهم على الله تعالى وحدَهُ؛ إذ لا ربَّ سواه، ولا خالقَ سواه، ولا مَعبودَ بحقٍّ سواه[1].

سرُّ التّعبير بالرّبوبيّة دون الإلهيَّة:

(ربُّنا الله) مصدرُ كلِّ نعمة ومولى كلِّ فضل

التّعبيرُ بعنوان الرُّبوبيَّة في قول المؤمنين المُخرَجين: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ يُؤذِنُ بِشعورهم بتَنَزُّل الخيرات عليهم من ربِّهم الرَّحمان؛ فإنَّ

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4992.

اتّخاذَ المَخلوقين أربابًا يُكلِّفُ عَنَتًا، أمّا اتّخاذُ اللّه تعالى ربًّا فيَستنزِلُ البركاتِ والرّحمات، ويُنيلُ العبدَ صنوفَ الخيرات منه ﷻ، وكأنَّهم بقولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ يوجِّهون عنايةَ الظّالمين إلى مصدر كلِّ نعمةٍ، ومولى كلِّ فضلٍ، وأنَّ لديه ما يَرجون من مَنافِع ممّا يطلبونها عند غيره، ولا يجدونها.

دلالةُ الإضافة في قولهم ﴿رَبُّنَا﴾:

إضافة المؤمن نفسَه إلى الرّبّ تعالى تَمنحُه الشّرف والطّمأنينة بالنّصر

الإضافة إلى الرَّبِّ الرّحيم سبحانه وتعالى في قول المؤمنين: ﴿رَبُّنَا﴾ إضافةُ تشريفٍ وتكريمٍ، وإضافةُ طمأنينةٍ وأمانٍ، يستمِدُّ منها العبدُ الثّقةَ في نَيل النّصر، ويَجِدُ فيها لنفسه السّكينةَ والوقار، وبها يَحتمِلُ الصّبرَ في سبيل نُصرة الدّين الحقِّ.

براعةُ الجمعِ بين الرّبوبيّة والأُلوهيّة ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾:

إظهارُ الكفّار عُلوَّهم على المؤمنين يُناقض شعورَهم الدَّفين بخلافه

الجمعُ بين عنوان الرّبوبيّة وعنوان الألوهيّة في قول المؤمنين: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ صريحٌ في التَّجرُّد مِنَ الولاء لِغير اللّه تعالى، وفصيحٌ في إخلاصهم الإيمانَ به وحدَه، وذلك ممّا يستفِزُّ الكافرين، ويوغِرُ نفوسَهم الآثمة؛ فإنّهم يودّون لو اختَلَّ إيمانُ المؤمنين، وانحرفوا عن سواء السّبيل كقوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗ﴾ [النّساء: 89]، ثمَّ إنّ تصريحَ المؤمنين بِمَربوبيتِهم للّه تعالى في قولهم: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ يُعرِّضُ بخصوصيّةٍ لهم؛ وذلك يُشعِرُ الكفّارَ بِنزول مرتبتهم عن مرتبة هؤلاء المؤمنين على عكس ما يراه الكفّار الّذين كانوا - ولا تزال أجيالهم - يُظهِرون أنّهم السّادة دون المؤمنين، وإنْ كانت بواطنُهم تحسِدُ المؤمنين على ظَفَرِهم بالعقيدة الصّافية والإيمان النّقيّ.

بلاغة الاستعارة ﴿إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾:

قال ابن عاشور: "لمّا كان المقصودُ مِنَ الحقِّ حقًّا يوجِبُ الإخراجَ؛ أي: الحقّ عليهم؛ كان هذا الاستثناءُ مُستعمَلًا على طريقة الاستعارة التَّهكُّميَّة؛

أيْ: إنْ كان عليهم حقٌّ فهو أن يقولوا ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ فيُستَفادُ من ذلك تأكيدُ عدم الحقِّ عليهم بسبب استقراءِ ما قد يُتَخيَّلُ أنَّه حقٌّ عليهم"[1].

دلالةُ الواو في جملة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾:

في ذِكْـر العِلَّة تَيسيرٌ للتَّكليف على النّفوس

في قول الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ "تقويةٌ للأمر بالقتال، وذِكْرُ الحُجَّةِ بالمَصلَحةِ فيه ... فكأنَّه قال: أُذِنَ في القتال فليُقاتِلِ المؤمنون، ولولا القتالُ والجهادُ لَتُغُلِّبَ على الحقِّ في كلِّ أُمَّةٍ"[2].

فالواو في جملة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ استئنافيَّةٌ تُبيِّنُ مع ما بعدها سُنَّةَ الله تعالى في خلقه، وتُجيبُ عن تساؤلٍ بشأن عَلاقات الفُرَقاء في هذه الدُّنيا، وتُقرِّرُ أنَّها مَبنيَّةٌ على سُنَّة التَّدافُع؛ فلا تميلُ كِفَّةٌ فتطيش أخرى، وليحصَلِ التَّوازنُ فأولئك يَظلمون، وهؤلاء يُقاومون، وأولئك يَهدمون، وهؤلاء يَبنون، وهكذا، وفي هذه الواو وما بعدها كذلك "تعليلٌ مضمون جملة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾"[3].

دلالة ﴿وَلَوْلَا﴾ في ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾:

سُـنَّـة الـدَّفـع يَنتفِعُ بها أهلُ أديـان التّوحيد جـمـيـعًـا لا المـسـلـمـون بخاصَّة

﴿وَلَوْلَا﴾ هنا تُفيدُ معنى الشّرط، وتُرتِّبُ عليه الجزاءَ، والشّرط ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾، والجزاء خراب الدّنيا المُتمثِّل في تهديم مَعابِدهم الّتي تُفعمُهُم هِمّةً، وتُشعِلُهم أملًا.

وجملة ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾ "اعتراضٌ بين جملة ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾، وبين قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فلمّا تضمَّنَت جملةُ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ الإذنَ للمسلمين بِدفاع المشركين عنهم أُتبِعَ ذلك ببيان الحكمة في هذا الإذن بالدّفاع، مع التّنويهِ بهذا الدّفاع والمُتَوَلّينَ له بأنَّه دفاعٌ عنِ الحقِّ والدّين يَنتَفِعُ به جميعُ أهل أديان التّوحيد مِنَ اليهود والنّصارى والمسلمين"[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 275.
(2) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 124.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 276.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 276.

سرُّ التّعبير بالمصدر ﴿دَفْعُ﴾:

سُنَّة الدَّفع واقعةٌ لا مَحالةَ ولا مَحيصَ عنها

التّعبيرُ بالمصدر في قوله تعالى: ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ يُفيدُ الثّبوت والدّوام، بخلاف التّعبيرِ بالفعل لو قيل في غير القرآن الكريم: (ولولا أن يَدفَعَ اللّهُ النّاسَ بعضهم ببعض)، ففي ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ إلماحٌ إلى أنّه واقِعٌ لا مَحالةَ، وأنّه مِن سنن الله تعالى الّتي لا مَحيصَ عنها، وأنّ المؤمنين لا بدَّ لهم مِنَ القيام بدفاع أهل الباطل.

بلاغة المجاز ونكتة الإضافة ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾:

غاية الدَّفع العمرانُ لا الخرابُ وقيامُ حياة النّاس لا إفسادُها

حقُّ الدَّفع أن يُضافَ للمؤمنين، لكنّه أُضيفَ لله تعالى؛ لأنّ "إذْنَ الله تعالى سببُ الدّفع، وهذا يُهيبُ بأهل الدّين إلى التَّألُّب على مقاومة أهل الشّرك"[1]، كذلك تضفي إضافةُ الدّفع إلى الله تعالى مِنَ الحكمة الحكيمة ما يُخلِّصُه للعمران لا للخراب، ويُنبِّهُ إلى أنّ غايتَه قيامُ حياة النّاس لا إفسادُها، ويُبشِّرُ المَظلومينَ - المأذونَ لهم في الآية السّابقة، بسلامة العاقبة وحسن الخاتمة ما التزموا ذلك القَصدَ، وعملوا على تحقيق ذلك الغرض، وأنَّ العاقبةَ ستكون لهم لا لظالميهم، وأنَّ الظّالمين إلى زوالٍ مهما تطاول على النّاس طغيانُهم.

توجيه القراءات في ﴿دَفْعُ﴾:

في الدَّفع توصيةٌ بثبات المُدافِعين وفي الدّفاع تهيئتُهم لتطاوُلِ أزمنتِهِ

ورد في كلمة ﴿دَفْعُ﴾ قراءتان: ﴿دَفْعُ ٱللَّهِ﴾ بغير ألفٍ، وهي قراءة الجمهور، و﴿دِفَعُ ٱللَّهِ﴾ بألفٍ، وهي قراءة نافع، وأبي جعفر، ويعقوب[2]، وهما لُغتان، غير أنّ الدِّفاعَ فعلٌ من اثنيْن، دافَعته مثل ناظَرته، والدَّفعُ: من واحدٍ، وقد يكونُ فاعلت مِن واحدٍ؛ كقولهم: طارقتُ النَّعلَ، وعافاك الله"[3]، و"الحُجَّة لِمَن أسقطَ الألفَ: أنّه أراد المصدر من: دفَع دفعًا، والحُجَّة لِمَن أثبتها:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 277.
(2) ابن الجزري، النشر: 2/ 230.
(3) ابن خَالَوَيه، إعراب القراءات السّبع، ص: 284.

أنَّه أراد المصدر من: دافع دفاعًا، ومعنى الآية: أنّه لولا مجاهدةُ المشركين وإذلالُهم"[1].

دلالة التّعبير بـ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ وتعريفهم:

التّعبيرُ بلفظ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ مُعرَّفةً بـ (أل) الدّالَّة على استغراق الجنس يدُلُّ على دخول تناوُش ﴿ٱلنَّاسَ﴾ - كلِّ النّاس - في حيِّز دفع الله تعالى، وأنَّه ﷻ القدير الّذي لا يتأبَّى عليه شيءٌ أراده، ولا يندُّ عن سلطانه نادٌّ، وأنّ جميعَ ما يجري في كونه، إنّما هو بتصريف الله تعالى وتدبيره، وداخِلٌ تحت مشيئته ﷻ وسلطانه، وإنْ لم يَدخُلْ تحت إرادته سبحانه؛ أيْ: لا يُحبُّه ولا يرضاه من عباده؛ لأنَّه تعالى لا يُريدُ إلّا الخيرَ، وإنْ أذِن بوقوع الشّيء العظيم فلِحِكمةٍ.

تدافُعُ النّاسِ واقعٌ في حيّز دفع الله تعالى داخلٌ تحت مشيئته وسلطانه

بلاغة القيد بالبدل ﴿بَعۡضَهُم﴾:

وجودُ القيد بالبَدَل ﴿بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾ ضروريٌّ في بيان طرفَي الدَّفع والدِّفاع والتَّدافُع، وإلّا لَظُنّ أنّ دفْعَ الله تعالى النّاس يكون بِغيرهم، أو أنّ دفْعَه تعالى إيّاهم يكون بغيرهم، وعلى ذلك فَليَعلَم المؤمنون أنّ سبيلَ بقائهم أحرارًا مرهونٌ بدفاعهم عن أنفسهم؛ جريًا على سُنَّة الله تعالى في كونه.

حرية المؤمنين مرهونةٌ بدفاعهم عن أنفسهم؛ ولا مُدافِعَ عنهم غيرُهم

فالنَّصُّ على البعضيَّة مِن جهةٍ كاشفٌ عن أنّ الدّفعَ واقِعٌ فيما بينهم - بين دافع ومدفوع -، ومِنَ الجهة الأخرى باعثٌ على الطّمأنينة في نفس المظلومين؛ بأنَّ هذا الواقعَ مِن توجيه الظُّلم عليهم، والإذْنِ لهم في دفعه عنهم - أنَّ ذلك كلَّهُ، إنَّما هو بتقدير الله تعالى وتحت مشيئته.

معنى الباء في قوله تعالى: ﴿بِبَعۡضٖ﴾:

الباء في كلمة ﴿بِبَعۡضٖ﴾ باء السّببيَّة؛ فإنّ بعضَ النّاس يُستَفزُّ إلى دفع غيره بسببِ اعتدائه عليه، أو جوره على حقوقه، وإلّا فلا

لو اتّفقَ النّاسُ على وتيرةٍ مِنَ الظُّلم أو الذُّلّ - بلا تدافُعٍ - لَما استمرَّتِ الحياة

(1) ابن خالَوَيه، الحُجَّة في القراءات السَّبع، ص: 99.

دَفعَ في الكون أصلًا، فلو أنَّ النّاسَ كلَّهُم على وتيرةٍ واحدةٍ مِنَ الظُّلم والاعتداء، أو مِنَ الذُّلِّ والانكسار لَما تحقَّقَ التّوازنُ، ولَما استمرَّتِ الحياةُ على هذه الأرض؛ فكان لا بُدَّ من ذلك الدّفعِ.

سِرُّ التّعبير بـ ﴿بِبَعْضٍ﴾ دون (بعضًا):

الدَّفعُ المأذون فيه للمظلوم العزيزُ الّذي يَكسِرُ شوكةَ الظّالم لا العاجز الذّليل

التّعبير بالجارِّ والمجرور ﴿بِبَعْضٍ﴾ يُضَمِّن المصدر ﴿دَفْعُ﴾ مِنَ المعاني ما يتضمَّنه مع التّعبير بالمفعول (بعضًا) وزيادة والزّيادةُ هي تضمُّنه معنى المصدر (الكَسْر)؛ وهو ما يُتعدَّى إليه بحرف (الباء) في الجارِّ والمجرور ﴿بِبَعْضٍ﴾؛ أي: إنَّ الدَّفعَ المأذونَ فيه للمظلوم لا ينبغي أن يكون دَفعًا هزيلًا ذليلًا؛ بل يكون دفعًا عزيزًا يَكسِرُ شوكةَ الصّائل المُجرِم وما يوقِفه عند حدّ العدل المأمور به في قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: 90].

دلالةُ حذفِ مُتعلّقِ الدّفع:

الله تعالى يَدفَعُ النّاس بعضهم ببعضٍ عمّا يَعوقُ توازنَ الحياة

حُذِفَ مُتعلّقُ الدَّفع في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ﴾، فلم يقُل عمَّ يَدفَعُ بعضُهم ببعض؟ وقد قدَّرَه العلماءُ تقاديرَ عدّة، أوجزها الماورديُّ بقوله: "ولولا دَفعُ الله المشركين بالمسلمين، ولولا دَفعُ الله عنِ الدّين بالمجاهدين، ولولا دَفعُ الله بالنَّبيّين عنِ المؤمنين، ولولا دَفعُ الله بأصحاب رسول الله ﷺ عمَّن بعدَهم مِنَ التّابعين، ولولا دَفعُ الله بشهادة الشّهود عنِ الحقوق، ولولا دَفعُ الله عنِ النّفوس بالفضائل ..."[1]، وعلى الإجمال فدَفعُ الله تعالى النّاسَ بعضهم ببعض دَفعٌ عن كلِّ ما من شأنه إعاقةُ التّوازن في حياة النّاس.

وسكوت الآية الكريمة عن تحديد المدفوع عنه أتاح تقديرَ هذه الأمور كلِّها، كما يُفسِحُ المجالَ لغيرها؛ وهكذا يُهيِّئُ الحذف لإفساح ميدان التّقدير وتوسيع مجال أنواعه.

(1) الماورديّ، النُّكتُ والعيونُ: 4/ 29.

معنى اللّام في جملة ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾:

بـقـاء الـحـيـاةِ متـوازنـةً ببقاء سُـنَّـة الـدَّفـع وخرابُها مُتوقِّفٌ على عَدَمها

(اللّام) في جملة الجزاء ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ لام التّأكيد المُؤذِنة بقَسَم، القاطعةِ ببقاء الحياة متوازنةً بين النّاس بسبب بقاء سُنَّة الدّفع، وأنّ خرابَ دُنياهم بالكُلّية مُتوقِّفٌ على عدم ذلك الدّفع.

ويُقرِّرُ ذلك طلاقةُ القدرة الإلهيّة وكمالُ الحكمة الرّحمانيّة بـ ﴿ٱلنَّاسَ﴾ جميعًا وبِضُعَفائهم المأذون لهم بالدّفاع عن أنفسهم خصوصًا كما يُفهَمُ من قول أبي بكر - رضي الله عنه -: "والضَّعيفُ فيكُم قَويٌّ عِندي حتَّى أُريحَ[1] عليهِ حَقَّهُ إنْ شاءَ اللّه والقويُّ فيكُم ضَعيفٌ حتَّى آخُذَ الحَقَّ مِنهُ إنْ شاءَ اللّه لا يَدعُ قَومٌ الجِهادَ في سَبيلِ اللّه إلّا ضَرَبَهُم اللّهُ بالذُّلِّ""[2]

بلاغةُ الكناية بذِكر التَّهديم:

أفحشُ الظُّلم المساسُ بدور العبادة

في التّعبير بفعل (التهديم)، وبخاصَّة في سياق التَّحذير من تهديم دور العبادة كنايةٌ عن فُقدان التّوازُن بالكلّية؛ لأنَّ فيه اجتراءً على مُقدَّسات الأمم، وانتهاكًا لحرمات اللّه تعالى، وذلك أقصى ما يكون من سوء الأخلاق المُفضي إلى خراب البلدان؛ لأنَّ تهديمَ دور العبادة لازمُ خرابِ ما دونها؛ لأنَّها أخصُّ ما يُقدِّسون، فإذا هانَت وهُدِّمَت؛ هانَ ما دونها وهُدِّم؛ فتهديمُها كنايةٌ عن خراب ما سواها بطريق الأَوْلى؛ والمعنى: "لولا أهلُ الخير والإيمان، ووقوفُهم في وجه الضّالّين والباغين، لَما قام للّه تعالى دينٌ على هذه الأرض، ولَغَلب الشَّرُّ والضَّلالُ، ولَأتى على كلِّ صالحةٍ في هذه الدّنيا، ولَخُرِّبَتْ بيوتُ العبادة الّتي أقامَها المؤمنون لِعبادة اللّه تعالى"[3].

(1) يُقال: أرَحتُ على الرّجل حَقَّه، إذا ردَدتَه عليه، الأزهريّ، تهذيب اللّغة، باب الحاء والرّاء.
(2) السُّيوطيّ، جمع الجوامع: 14/ 227، ومُسنَد أبي بكر الصّديق رضي الله عنه، برقم: (367)، وقال السّيوطيّ: صحيح.
(3) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 9/ 1045.

وفي سورة البقرة تحذيرٌ شديدٌ بالمساس بأمر المساجد، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: 114]؛ أي: لا أظلم منه، فهو يدُلُّ على فقدان الحياة كلَّ قيمةٍ؛ بل يُؤذِن بزوالها زوالًا تامًّا؟

إشارة بناء ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ للمجهول:

تـهـديـمُ دور العبادة دليلُ انحطاط النّاس واختلالِ حياتهم بالكُلّيّة

في بناء الفعل ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ للمجهول حَطٌّ لشأن ذلك المُهدِّم الّذي يَتجرّأ على بيوت العبادة وبيانٌ أنّه مَمقوتٌ مُبعَدٌ عن شرف الذِّكر والحضور وأنَّ مكانَه ومكانتَه التَّجاهُلُ والإزراءُ ثمّ إنَّ النَّصَّ عليه مُتعذِّرٌ مُتعسِّرٌ؛ لأنّ عُبّادَ كلِّ مِلّةٍ مِنَ الملل - غالبًا ما يَحملُهم الحقدُ والجَشعُ على تهديم دور عبادة غيرهم إلّا المسلمين - أمّة النَّبيّ محمّد ﷺ - فهُمُ الوحيدون الّذين يَدينون بدين ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون: 6]؛ فلا يَعتدون على دور عبادة غيرهم أمّا سواهم فالواقِعُ شاهِدٌ بِطغيانهم على مساجد المسلمين.

لطيفة تشديد الفعل ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾:

تـهـديـمُ دور العبادة دليلُ حقد المُتَجَرِّئ عليه

معنى الهَدْم "تقويضُ البناء وتسقيطُه، والتّشديد للمبالغة في الهَدم؛ أيْ: لهُدِمَت هدمًا ناشئًا عن غيظٍ، بحيثُ لا يُبقون لها أثرًا"[1].

فالتَّضعيف في الفعل ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ يحكي خطورةَ المرحلة الّتي تصِلُ إليها حياةُ النّاس مِنَ الفوضى والضّياع بِدون سُنّة الدّفع، وأنّ الخرابَ لن يتوقَّفَ عند مرحلة الهَدم؛ وإنّما سيبلُغُ مرحلةَ التّهديم بذلك العُنف القاسي، وتلك الهمجيّةِ المُدمِّرةِ الواصِلَةِ إلى تخريب أقصى ما يُتوقَّعُ صونُه، وهي دور العبادة المُقدَّسة في مفهوم النّاس وعقائدهم، وفي التّشديد أيضًا "إشعارٌ بأنّ عدمَ مشروعيّة القتال يؤدّي إلى فسادٍ ذريعٍ، وإلى تحطيمٍ شديدٍ لأماكن العبادة"[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 277.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 318.

توجيهُ القراءاتِ الواردة في ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾:

من إشارات تضعيف الفعل تكرارُ وقوعه وكثرته

قُرِئَ الفعلُ ﴿لَّهُدِّمَتْ﴾ "بالتَّشديد وهي قراءة الجمهور، وبالتَّخفيف ﴿لَّهُدِمَتْ﴾، وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي جعفر[1]، ويكون للكثير والقليل، والتَّشديد يُختصُّ به الكثير"[2]، قال ابن عطيَّة: "وهذه - أي المُشدَّدة - تَحْسُنُ من حيثُ هي صوامِعُ كثيرةٌ؛ ففي هدمها تكرارٌ وكثرةٌ، كما قال: ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النِّساء: 78] فثقَّلَ الياءَ، وقال: ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فخفَّف لكونه فردًا، ومنه: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَابَ﴾ [يوسف: 43]، و﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَابُ ۝٥٠﴾ [ص: 50]"[3].

نكتةُ تعدادِ دور العبادة المذكورة:

في ذِكْر دور العبادة اهتمامٌ بشأنها

تلك أسماء "مُتعبَّدات الأمم؛ فالصّوامِعُ للرُّهبان، والبيعُ للنَّصارى، والصَّلواتُ لليهود، والمساجد للمسلمين، قال ابن عَطيَّة: والأظهرُ أنَّها قُصِدَ بها؛ أيْ: بذِكْرها تفصيلًا - المبالغةُ في ذِكر المُتعبَّدات، وهذه الأسماءُ تَشترِكُ الأممُ في مُسمَّياتها، إلّا البيعَةَ فإنَّها مُختَصَّةٌ بالنَّصارى في لغة العرب"[4]، وفي تعداد أسمائها اهتمامٌ بشأنها، وتنبيهٌ إلى عظيم مكانتها في أوقاتها، وتنديدٌ بمَنْ يتجرَّأ عليها بالهدم، ودليلٌ على خراب المجتمعات الّتي يقع فيها الاستهانة بها.

سرُّ ترتيب المتُعبَّدات في الآية الكريمة:

قد يُقدَّمُ الأكثر والأقدم وإنْ كان المُؤخَّرُ أشرفَها جميعًا

قال ابن عاشور: "وتقديمُ الصّوامِعِ في الذِّكر على ما بعده؛ لأنّها كانت أكثرَ في بلاد العرب مِن غيرها وأشهرَ؛ لأنَّهم كانوا يهتدون بأضوائها في أسفارهم، ويأوون إليها، وتعقيبُها بذِكْر البيع للمناسبة؛ إذ هي مَعابِدُ النّصارى مثلُ الصّوامِع، وأمّا ذِكْرُ الصّلوات بعدهما فلأنّه قد تهيّأ المقامُ لذِكْرها، وتأخيرُ المَساجد

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 327.
(2) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 4/ 273.
(3) ابن عطيَّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 125.
(4) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 72.

لأنّها أعمُّ، وشأنُ العُمومِ أن يُعقَّبَ به الخصوصُ إكمالًا للفائدة"[1]، و"لأنَّها أقدمُ في الوجود"[2].

وإذا كان الأمرُ كذلك فإنّ تقديمَ الصّوامعِ والبيعِ، ووصفها بذكر اللّه تعالى فيها كثيرًا كالمساجد - لا يقتضي المدحَ؛ لأنَّ العطفَ بينها جاء بالواو، وهي لا تُفيدُ التَّرتيبَ[3].

سِرُّ الاكتفاء بأسماء دور العبادة السّابقة دون غيرها:

لـيـس لأهـل الشّرك ما تجبُ حمايتُهُ

ذكر النَّظمُ الكريمُ دورَ العبادة الخاصّة بأمم الرُّسل دون غيرها، فـ "لم يَذكُرْ في هذه دورَ عبادة المجوسِ ولا أهل الإشراك؛ لأنَّ هؤلاء ليس لهم ما تَجب حمايتُه، ولا يوجدُ ذِكرُ اللّه تعالى إلّا عند أهل الشّرائع"[4]، وعليه فـ "بيوت النّار لا تَتَضَمَّنُ هذه الآيةُ منعَ هدمها؛ فإنَّها لا يُذكَرُ فيها اسمُ اللّه تعالى، وإنَّما منع هدمها عقدُ الذِّمَّة الّذي يَنعقِدُ بين أهلها وبين المسلمين"[5].

لطيفة ذِكْر (المساجد) ولم تكُنْ قد وُجِدت:

بـذِكْـر مساجد المؤمنين مُبتدأ الـدّعـوة بِشارةٌ لـهـم بالتّمكين لِدينهم

في النّصِّ على ذِكْر المساجد حينئذٍ "إشارةٌ إلى أنَّه سيكون للمسلمين مساجدُ، وأنَّ هذه المساجدَ ستعمُرُ بالمصلّين والذّاكرين اللّه تعالى كثيرًا فيها، وهو وعدٌ كريمٌ من ربٍّ كريم، لجماعةِ المؤمنين يومئذٍ، وقد تحقَّقَ هذا الوعدُ، فملأتِ المساجدُ آفاقَ الأرض، وامتلأتْ بالمصلّين، واهتزَّت جنباتُها بالذّاكرين"[6]، ويمكن أن "تكونَ الآيةُ نزلَت في ابتداء هجرة المسلمين إلى المدينة، حين بَنَوا مَسجِدَ قُباءٍ ومَسجِدَ المدينة"[7].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 279.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 230.
(3) الطّوفيّ، الإشارات الإلهيّة، ص: 447.
(4) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 125.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 279.
(6) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 9/ 1045.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 278.

بلاغةُ المجاز في إيقاع التَّهديم على (الصلوات):

إهمال فريضة الصّلاة مثل تهديم البناء العزيز على النّفس

إذا كان المقصودُ بالصّلوات تلك الفريضةَ المعلومةَ لدينا، فإنّها "لا تَهدِمُ، ولكنْ حملَهُ على فعلٍ آخر، كأنَّه قال: وتُرِكَتْ صَلَواتٌ"[1]، فعُبِّرَ عنِ التَّرك بالتَّهديم مبالغةً في خطورة إهمال الصّلاة وعِظم جُرمه؛ ولذلك قالوا: "المُراد بهدم (الصّلاة): إبطالُها، وإهلاكُ مَن يَفعَلُها؛ كقولهم: هَدم فلانٌ إحسانَ فلانٍ - إذا قابلَهُ بالكفر دون الشُّكر، أو المُراد: مكانُ الصّلوات؛ لأنّه الّذي يَصِحُّ هدمُه، كقوله: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: 82]؛ أيّ: أهلَها، أو أُريدَ ضَمُّ ما لا يَصِحُّ أن يُهَدَّمَ إليه؛ كقولهم مُتقلِّدًا سيفًا ورُمحًا، وإنْ كان الرُّمحُ لا يُتقلَّدُ"[2].

سرُّ تأخير المساجد مع جدارتها بالتّقديم:

المساجدُ أشرفُ دور العبادة وأكثرها عُبّادًا وأبعدُها عنِ التّهديم

وراء تأخيرِ ذِكْرِ المَساجِدِ في الآية الكريمة لطائفُ وإشاراتٌ؛ منها مُراعاة التَّرتيب الزَّمنيِّ بذِكْر الأقدم فالأحدث، وأنَّ في ذلك إلحاقًا لها بقيدٍ شريفٍ مُختَصٍّ به عند أغلب العلماء - هو قوله تعالى: ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۚ﴾ -، وأنَّ في تأخير ذِكْرها تَرقّيا من شريفٍ إلى أشرفَ، ومن فاضلٍ إلى أفضل، وأنَّ في تأخير ذِكْرها إقصاءً لها عن أجواء التَّهديم المذكور قبلُ، وترقّيا مِنَ الأقل عُبّادًا وزوارًا إلى الأكثر، وأنَّ تأخيرَ ذِكْرها لإعطاء معنى قولهم: آخِرُ الفكر أوَّلُ العمل[3].

وقيل: إنّ الضّميرَ في ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا﴾ عائدٌ على جميع ما تقدَّمَ"[4] مِنَ الدّور؛ لكنَّ دلالةَ المضارعة فيه يردُّها واقِعُ دور العبادة غيرِ المساجد اليومَ بعباده.

---

(1) الأخفش، معاني القرآن: 2/ 451.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 230.

(3) أحمد سعيد، من وجوه الإعجاز البلاغيّ لتأخير ما يقتضي الظّاهر تقديمه في الذِّكر الحكيم، بحث بمجلة تدبُّر، وزارة الإعلام السّعودية، العدد: (14)، سنة: 1444ه، ص: 104، وما بعدها.

(4) ابن عطيّة، المُحرّر الوجيز: 4/ 125.

دلالة جملة الصِّفة ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۚ﴾:

غيظ الكفّار من ذِكْر اسم الله تعالى يبلُغُ بهم حدَّ تهديم المساجد

قال ابن عاشور: "وفائدةُ هذا الوصف الإيماءُ إلى أنّ سببَ هدمِها أنّها ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۚ﴾؛ أيْ: ولا تُذكَرُ أسماءُ أصنامِ أهلِ الشّركِ، فإنَّهُم لمّا أخرَجوا المسلمين بِلا سبب إلّا أنّهم يَذكرون اسمَ اللّه تعالى فَيَقولون: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُۗ﴾، لِمَحوِ ذِكر اسم اللّه تعالى مِن بلدهم، لا جَرَمَ أنّهم يَهدِمونَ المَواضِعَ المَجعولَةَ لِذكر اسم اللّه تعالى كثيرًا؛ أي: دون ذِكر الأصنام، فالكثرةُ مُستعمَلَةٌ في الدَّوام لاستغراق الأزمنة، وفي هذا إيماءٌ إلى أنَّ في هذه المَواضِعِ فائدةً دينيّةً؛ وهي ذِكرُ اسم اللّه تعالى"[1].

دلالة التّعبير بمفردة الذِّكْر دون غيره من أنواع العبادة:

تستمِدُّ دورُ العبادة جلالها من كونها مَحلًّا لذِكر الله تعالى كثيرًا

التّعبيرُ بمفردة الذِّكر في قوله تعالى: ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۚ﴾ يدُلُّ على أنَّه غايةُ الغايات، وأنَّ دورَ العبادة - الّتي تتعرَّضُ للتَّهديم - حالَ غياب سُنَّة الدَّفع - إنَّما تَستمِدُّ قيمتَها وجلالَها من كونها مَحلًّا لذِكر اللّه تعالى كثيرًا، وإنْ كان ذِكْرُ اسمه تعالى موجودًا وواقعًا في غيرها بنسبة أقلَّ؛ فذِكرُ اللّه تعالى بكافّة صوره من صلاة وتلاوة واستغفار وغيرها يفترِضُ أنّه ثمرةُ إقامة الصّوامِعِ والبيعِ والصّلوات والمَساجِدِ؛ لذلك سَنَّ اللّهُ تعالى سُنَّةَ الدَّفع بين النّاس؛ فاستمرَّتِ الحياةُ، وحُفِظَت فيها تلك الدّور.

نكتة بناء الفعل ﴿يُذۡكَرُ﴾ للمجهول:

الشّأن في المساجد الذِّكْر وفضيلته لا الذّاكر وفضيلته

بُنِي الفعل ﴿يُذۡكَرُ﴾ للمجهول في جملة الصِّفة ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۚ﴾ لتوفير عناية المُتلقّي على الذِّكر وفضيلته، لا على الذّاكر وفضيلته؛ فالشّأنُ في ذِكْر المساجد هنا ذِكرُ اللّه تعالى، ثمّ إنَّ النَّصَّ على الذّاكرين لا يتأتّى؛ لكثرتهم الكاثرة مِن كلِّ الأمم وفي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 278.

كلِّ الأزمان، فكان إيجازُ اللَّفظ ببناء الفعل ﴿يُذۡكَرُ﴾ للمجهول أنسبَ للدّلالة على الغايتَيْن السّابقتَيْن جميعًا.

نكتة تقديم ﴿فِيهَا﴾ على نائب الفاعل:

لمّا كان المَقامُ هنا للتّحذير من ترك بيوت الله تعالى للتّهديم، وبيان توقُّفه على غياب سنَّة الدَّفع والجهاد من حياة النّاس كان الأنسبُ تقديمَ قيدِ الظَّرفيّةِ ﴿فِيهَا﴾ على نائب الفاعل، وإنْ كان ﴿ٱسۡمُ ٱللَّهِ﴾ تعالى؛ ومن ثمَّ جاء ترتيبُ الجملة ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ﴾ مَبنيًّا على تقديم الظّرف ﴿فِيهَا﴾ تناغُمًا مع غرض الكلام وسياق المعاني، وهو تأكيدُ مُهمَّةِ المساجد وما تَقدَّمَها من دور عبادة الأمم الأخرى.

الدَّورُ الأهمُّ للمساجد أن تحتضِنَ ذِكْرَ الله تعالى كثيرًا

نكتة الاكتفاء بذِكر ﴿ٱسۡمُ ٱللَّهِ﴾ دون لفظ الجلالة:

من براعة النَّظم الكريم في جملة الصّفة هنا ذِكْرُ ﴿ٱسۡمُ ٱللَّهِ﴾؛ فإنّ ذكر الاسم يتطلّب إعمالًا لجارحة اللّسان، وهي عبادة لفظية باللسان، وفعلية لكونها مرتبطة بالاعتكاف بالمسجد، ولأنّ سورة الحجّ معتنيةٌ بإظهار شعائر العبادات، فكان التعبير هنا عن عبادة الذكر - بأن تكون بذكر الاسم الجليل - متّسقًا مع الجوّ العامّ للسورة، ومُعلنًا عن مظهرٍ من مظاهر التّعبّد المراد إقامتُه كشعيرة من شعائر الله تعالى.

ذِكْرُ اسم الله تعالى كافٍ في رضوانه تعالى عنِ العبد

علَّة القيد بـ﴿كَثِيرًا﴾ دون (ذِكْرًا كثيرًا):

آثرَ النَّظمُ الكريمُ في جملة الصِّفة: ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ التّصريحَ بالصِّفة ﴿كَثِيرًا﴾ دون موصوفها المحذوف: (ذِكرًا)؛ وذلك لِبيان خطورة ذلك التّهديم إنْ حَدَثَ حالَ غياب سُنَّة الدَّفع، والإلماح إلى أنَّ المُفترَضَ في دور العبادة بعامَّةٍ في أزمانها والمساجد بخاصَّة بعد البعثة الخاتمة إلى يوم الدّين أنْ تُعَمَّرَ بِذِكر اسم الله

يجب أن يكثِّفَ العُبّادُ ذِكر الله تعالى في دور العبادة ما لا يُكَثِّفونه في غيرها

تعالى، وأن يُكثِّفَ فيها العُبّادُ مِنَ الذِّكر - بأصنافه وأنواعه المُختلِفة - ما لا يُكَثِّفونه في غيرها، وذهب بعضُهُم إلى أنَّ المقصودَ بقوله تعالى: ﴿يُذۡكَرُ فِيهَا﴾ هي المساجد، وقيل: بل عائدٌ إلى الكلِّ؛ لأنَّ الله تعالى يُذكَرُ في هذه المَواضِع كثيرًا، والأقربُ أنَّه مُختَصٌّ بالمساجد تشريفًا لها بأنَّ ذِكْرَ الله يَحصُلُ فيها كثيرًا[1].

معنى الواو في جملة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ﴾:

ضَمِنَ اللهُ تعالى النَّصرَ للمؤمنين؛ لأنَّهم بنصرهم دينَه كأنَّهم نصروه

(الواو) في جملة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ واو الاستئناف الدّاعية إلى الذَّوْد عن دور العبادة؛ الواعدة للمؤمنين - الّذين ينصرون اللّهَ تعالى ودينَه بحفظها وتكريمها - بالنَّصر على أعدائهم، وهو "عطف على جملة ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ﴾؛ أيْ: أمَرَ اللّهُ تعالى المسلمين بالدِّفاع عن دينهم، وضمِنَ لهم النَّصرَ في ذلك الدِّفاع؛ لأنَّهم بدفاعهم يَنصرون دينَ الله تعالى؛ فكأنَّهم نصروه سبحانَه؛ ولذلك أكَّدَ الجملةَ بِلام القَسَم ونون التّوكيد"[2]، وفيها "حَضٌّ على القتال والجِدِّ فيه، ثمّ الآيةُ تَعُمُّ كلَّ مَن نَصر حقًّا إلى يوم القيامة"[3].

دلالة اللّام في جملة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ﴾:

نصرُ اللهِ تعالى مَن ينصرُ دينَه ويذودُ عن بيوته مُحقَّقٌ

(اللّام) في جملة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ لامُ التّأكيد الموطِّئة للقَسَم[4]، القاطعة بتوفيق الله تعالى لعباده الصّادقين الّذين يَنصرون دينَه يَدفعون عن بيوته صولةَ الصّائِلين، و"نصرُ الله تعالى للعبد أن يُقوّيه على أعدائه حتّى يكونَ هو الظّافِرَ، ويكونَ قائمًا بإيضاح الأدلّةِ والبيّناتِ، ويكون بالإعانة على المعارف والطّاعات، وفيه ترغيبٌ في الجهاد من حيثُ وعَدَهُمُ النَّصرَ"[5].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 230.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 279.
(3) ابن عطيّة، المُحرَّر الوجيز: 4/ 125.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 439.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 230.

لطيفة الوعد بالنَّصر دون تعيين المنصور عليه:

من شأن الوَعد الصّريح بالنَّصر شحنُ النّفوس بالثّقة في الدَّفع والجهاد

مِن شأن وعدِ الله تعالى المؤمنين الّذين يَنصرون دينَ الله تعالى، ويذودون عن بيوته - بالنّصر الصّريح - شحنُ نفوسهم بالثّقة في نتيجة جهادهم، وتصدّيهم لِمَن يعتدي على بيوت الله تعالى ومُقدَّسات دينِهم بأيِّ أذًى.

ومِن أعظم الوعد بالنّصر أن يكونَ هكذا نصرًا عامًّا غيرَ مُقيَّدٍ بِمنصورٍ عليه مُعيَّنٍ؛ ليشمَلَ الوعدَ بالنّصر على هوى النّفس، وعلى وساوس الشّيطان، وعلى اعتداء الأعداء، وعلى غير ذلك ممّا يَفتقِرُ المؤمنُ إلى النّصر عليه في هذه الحياة.

معنى النّون المتّصلة بالفعل ﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾:

نصرُ اللهِ تعالى مَـــنْ يـنـصـرُهُ مُحقَّقٌ وإنْ طال الزَّمن

(النّون) المُشدَّدةُ في آخر الفعل ﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾ هي نون التّوكيد الثّقيلة وهي تتناغَمُ مع عطاء لام التّأكيد في أوّله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾ وتؤازرها في تقرير نصر الله تعالى مَن ينصرُهُ بِنصر دينه وكتابه وبيوته وأوليائه وكُلِّ ما يتعلَّقُ به ﷻ وهو نصرٌ ثابِتٌ ومُتحقِّقٌ مهما طال الأمدُ وتأخَّر النَّصرُ.

دلالة المضارع في ﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾:

عينُ الله تعالى ترعى ناصريه - بنصر دينه - على الدَّوام

المضارعة في ﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾ تدُلُّ على تجديد الله تعالى لِناصريه - بنصرهم دينه وكتابه وبيوته - نصرًا بعد نصر، كلَّما تجدَّدَ عليهم ظلمٌ بعد ظلم؛ فجدَّدوا ذَودًا بعد ذودٍ، وأنّ عينَ الله تعالى ترعاهم على الدَّوام، فهو القويُّ الّذي لا يُغلَبُ.

براعة إظهار الاسم الأعظم في الآية الكريمة:

مَقامُ الدّعوة إلى الجهاد يحتاج إلى دعم التَّقوّي بـتـكـرار اسـم الجلالة

من براعة النَّظم الكريم هنا تَكرارُ اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾ في هذا السّياق ظاهرًا صريحًا أكثر من مرّةٍ، مع أن الظّاهرَ لِتَكرار الذِّكْر بالضَّمير؛ غير أنَّ اسمَ الجلالة الصّريح ﴿ٱللَّهُ﴾ يَدعَمُ في نفس المؤمن الثِّقة بتحقُّق النّصر، ويُقرِّرُ عنده رجاءَ الغَلبة على

أهل الظُّلم؛ لأنَّ اسمَ الجلالة هو العَلَمُ الجامِعُ للأسماء الحُسنى والصّفات العُلَى كلّها، ولا شكَّ أنَّ المُؤمنَ في مَقام الدّعوة إلى الجهاد والدَّفع يحتاج إلى دعم التَّقوّي على غلبة الظّالمين في نفسه بِحشد معاني تلك الأسماء والصّفات كلِّها، ولا يجمعُها كلَّها سوى اسم الجلالة ﴿ٱللَّهُ﴾؛ لذا كان تَكرارُهُ صريحًا فاعلًا في ذلك السّياق.

علّة التّعبير بالموصول ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾:

التّعبيرُ بالمفعول به اسمَ موصولٍ في قوله تعالى ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ يُتيحُ ما لا يتيحُهُ المفعولُ الصّريحُ (الدّافع) - مثلًا - مِن حيثُ إثارة الشّوق لِتحديد صنف المفعول مِن خلال إبهام الموصول ﴿مَن﴾، وفقر دلالته إلى جملة الصّلة، ثمّ بما يتيحُهُ الموصولُ مِن جملة الصِّلة المضارعة: ﴿يَنصُرُهُۥٓ﴾، بما فيها مِن موازاة المضارَعة في المضارع ﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾؛ ممّا يُنَشِّطُ المُؤمنَ إلى تجديد نُصرة دين الله تعالى، والذَّود عن بيوته، كلَّما حاول الظّالمُ المَساسَ بهما.

التّعريف بالموصول يُثير الشّوقَ إلى تحديد صنف المُعرَّف به

براعة المُشاكَلة في ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾:

معلوم أنَّ نصرَ الله تعالى إنَّما هو باتّباع ما شرعَهُ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ونصرة رسله واتِّباعهم، ونصرة دينه، وجهاد أعدائه[1]، والذَّود عن بيوت الله تعالى؛ وهي الّتي يُعالِجُ السّياقُ النّفوسَ لصيانتها مِنَ الظّالمين؛ وبناءً على ذلك؛ ففي الجمع بين الفعل ﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾ مُسنَدًا إلى الله والفعل ﴿يَنصُرُهُۥٓ﴾ مُسندًا إلى العبد - مشاكَلَةٌ لفظيَّةٌ؛ إذِ النَّصرُ مِنَ الله للعبد حقيقةٌ، والنّصرُ مِنَ العبد لله مَجازٌ.

نصرُ الدّينِ والذّودُ عنِ المَساجد بمثابة نَصرِه ﷻ مباشرةً

ولطيفةُ إيثار المُشاكَلة هنا تأكيدُ أنّ نصرَ دين الله والذَّودَ عن بيوته بمثابة نصره سبحانه مباشرةً.

نكتة إحاطة الموصول في (مَن ينصره) من جانبيه

ويُلحَظُ أنَّ الموصولَ في جملة ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ مُحاطٌ بِحفظ الله

(1) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 5/ 265.

سبحانه وتعالى ورعايته من جانبيه: باسم الجلالة صريحًا قبلَهُ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ﴾، ثمَّ بضميره ﷻ في آخره في الفعل ﴿يَنصُرُهُۥٓ﴾.

علَّة الفصل في جملة الفاصلة:

نصرُ الدّافعين عنِ المساجد مَضمونٌ؛ لأنَّ ناصرَهُم قديرٌ

فُصِلَت جملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ عن ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ لِما بينهما مِن كمال اتِّصال؛ فالثّانية بمثابة التَّعليل للأولى، كما أنَّ معنى الثّانية مُؤكِّدٌ لِمعنى الأولى؛ إذ إنَّ نصرَ الله تعالى لِمَن ينصرُهُ، كما أنَّه مُحقَّقٌ بلام التَّوكيد في أوَّل الفعل ﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾، والنّون الثَّقيلة في آخره - كذلك هو مُحقَّقٌ بقدرته تعالى وعزَّته الّتي لا تُغلَبُ، المؤكَّدة بـ﴿إِنَّ﴾ في أوَّل الجملة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾؛ فالجملةُ تفيدُ أنَّ "نصرَهم مضمونٌ؛ لأنَّ ناصرَهم قديرٌ على ذلك بالقوَّة والعزَّة، والقوّةُ مُستعمَلةٌ في القُدرة: والعِزَّةُ هنا حقيقةٌ؛ لأنّ العِزَّةَ هي المَنَعَةُ؛ أي: عَدَمُ تسلُّطِ غيرِ صاحبِها على صاحبها"[1].

نكتة التَّوكيد في جملة الفاصلة:

في وعد المظلوم بالنَّصر تحذيرٌ لظالمه مِنَ الهزيمة

ممّا اقتضى التَّوكيدَ في جملة الفاصلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ توكيدُ الجملة السّابقة ﴿وَلَيَنصُرَنَّ﴾؛ وبذلك يتحقَّقُ للأسلوب التّوازنُ كما أنّ هذا التّوكيدَ يَبعثُ برسالة تهديد إلى مَن تُحدِّثُهُ نفسُهُ بالاعتداء على بيوته تعالى وعِباده؛ لأنّ نصرَ الله لأوليائه يَستلزِمُ هزيمةَ أعدائه كما يَبعَثُ برسالة طَمْأنةٍ وتسكينٍ لقلوب المؤمنين كما أنّ من مُقتَضيات هذا التّوكيد عِظَمَ الخبر وجلالَته؛ لأنَّه ممّا حقُّه أنْ يؤكَّدَ ويُحتَفلَ له - وإنْ لم يوجدْ مُنكِرٌ - كما يقول ابن حجر: "وقد يكون التّأكيد من جهة أنّ القضيةَ في نفسها ممّا يُهتمُّ به، وإنْ لم يكُنْ هناك مُنكِرٌ"[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 279.
(2) العسقلانيّ، فتح الباري: 1/ 74.

معنى اللّام في ﴿لَقَوِيٌّ﴾ وسرّ دخولها هنا دون سورة الحديد:

كلّما تقادمَتِ الفكرةُ في اعتقاد النّـاس قلّت حاجتُهم إلى توكيدها الأوّل

ممّا يدعَمُ تلك الدّلالات في نفوس الظّالمين والمظلومين توكيدُ الخبر ﴿لَقَوِيٌّ﴾ باللّام؛ فلْيحذرِ الظّالمُ، وليتقوَّ المظلوم، وبهذا تستَتِبُّ أحوالُ البلاد، وتستقرُّ، ولمّا كانت سورةُ الحديد مدنيَّةً – عند جمهور المُفسِّرين[1] – وصار المؤمنون هنالك في غِنًى عن توكيد هذا الخبر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، بخلافهم هنا في بداية الإذن بالجهاد والدّفع، فلا يزالون إلى الدَّعم بالتَّوكيد أحوجَ؛ فجاء الخبرُ مُؤكَّدًا باللّام: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾، فضلًا عنِ المُؤكِّدات المُشترَكةِ بينهما.

لطيفة ختم الآية بجملة الفاصلة:

القويُّ العزيزُ عزَّ وعلا لا يُغلَبُ

معنى الفاصلة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ أنَّ اللّهَ تعالى "قويٌّ على هذه النُّصرةِ الّتي وعدَها المؤمنين، وأنَّه لا يجوزُ عليه المَنْعُ، وهو معنى قوله ﴿عَزِيزٌ﴾؛ لأنَّ العزيزَ هو الّذي لا يُضامُ ولا يُمنَعُ ممّا يُريدُهُ"[2]؛ ففي الختام اتِّساقٌ جليٌّ مع مضمون الآية الكريمة، ودعمٌ لعطائها المعنويِّ؛ فالسّياقُ منذُ أخبَر بأنّ إخراجَ المظلومين مِن ديارهم بغير حقٍّ إلّا أن يقولوا ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ ومرورًا بالإخبار بدَفع اللّه تعالى النّاس بعضهم ببعض، ثمّ التّحذير المُبطَّن من تهديم الصّوامِع والمساجد، كلُّ ذلك يقتضي القوَّةَ الّتي لا تُحَدُّ، والعزَّةَ الّتي لا تُغلَبُ.

وجهُ مناسبةِ القوَّةِ للعزَّة دون القُدرة:

مَن كان القويُّ العزيزُ ناصرَه فهو المنصورُ وعدوُّه هو المقهورُ

القوَّة والعزَّة صفتان من صفات اللّه تعالى الحُسنى، تقتضي كلٌّ منهما الأخرى؛ فالقوّةُ دليلُ العزّة وأساسها، والعزّةُ لا تكون إلّا بالقوَّة وتزينها، وكلاهما من مُقتضيات النّصر ومنحه المظلومين الدّافعين عن دينهم ومساجدهم، قال ابن كثير: "وصَفَ سبحانه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 353.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23/ 230.

نفسَه بالقوّة والعِزَّة، فبقوَّتِه خَلَقَ كلَّ شيءٍ فقدَّرَهُ تقديرًا، وبِعِزَّتِه ... كلُّ شيءٍ ذليلٌ لديه، فقيرٌ إليه، ومَن كان القويُّ العزيزُ ناصرَه فهو المنصورُ، وعدوُّه هو المقهورُ، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصّافّات: 171 - 173]، وقال الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة: 21]"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإخراج والإجلاء:

الإخـراجُ: الطّردُ والإزالـــــة، والإجـــــلاء: الكشف

(الإخراج) مِنَ الفعل (أخرج)، يُقال: أخرجَ فلانًا مِنَ المكان: طردَهُ منه، جعلَهُ يتركُهُ ويغادرُهُ، أزالَهُ عنه... ﴿وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ﴾ [البقرة: 191][2]، و(الإجلاء) مِنَ الفعل (أجلى)، يُقال: "أجلَى اللّهُ تعالى عَنكَ؛ أي: كشَفَ؛ يُقالُ ذَلِكَ للمريض، يُقالُ للمريض: جَلا اللّهُ تعالى عَنهُ المرضَ؛ أي: كشَفَه، وانجَلَى الغَمُّ، وجَلَوتُ عَنّي هَمّي جَلوًا إذا أذهبتَه[3]، والإخراجُ هو المناسِبُ لسياق الطَّرد مِنَ الدّيار، لا فعل الإجلاء الدّالّ على الكشف؛ فالتّعبيرُ بالإخراج هنا يكشِفُ مدى الظُّلم الّذي تعرَّضَ له المُخرَجون من ديارهم بغير حقٍّ مِن أولئك الكفّار الظّالمين.

الدّيار والمنازل:

الـدّيـار: الـدّور الّـتـي يتوطَّنها أهلُها، والمَنازِل: مـحـالُّ الـنّـزول المؤقَّت

الدّيارُ جمع الدّار؛ وهي المَحَلُّ يَجمعُ البِناءَ والعَرصَةَ، وهي مِن دارَ يَدورُ لِكَثرَةِ حَرَكاتِ النّاسِ فيها[4]، وكونها البنيةَ الّتي يدورُ عليها أصحابُها؛ يعني: تعلُّقهم بها.

و"النُّزول: الحلول، وهو في الأصل انحطاطٌ من عُلو، والمَنزِلةُ:

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 436.
(2) مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (خرج).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (جلا).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (دور).

مَوضِعُ النّزول، وكذلك المَنزِل"[1]؛ وذلك يعني أنَّها مَحالُّ نزولٍ مُؤقَّتةٌ، لا تعلُّقَ بها للنّازلين فيها، ولذلك عَدَلَ عن استعمالها، وآثرَ الدّيارَ الّتي هي مَظنَّةُ التَّعلُّق؛ ليكونَ الإخراجُ منها أشدَّ ألمًا للنَّفس.

فالتّعبيرُ بالدّيار هنا يعكِسُ بشاعةَ جُرمِ الكفّار، إذ طردوا المؤمنين من ديارِهم وحَرَموهم ذكرياتِهم في تلك البقاع الّتي توطَّنوها، ومكثوا بها حُقبًا مِنَ الزمان.

التَّهديم والتَّخريب:

التَّهديم: نقض البناء وإزالته بالكُلّيّة، والتَّخريب: التَّدمير

"الهَدْمُ: نَقضُ البناءِ وإسقاطُه، وكذلك التَّهديم"[2]، و"الهَدمُ: التَّخريبُ، ويقعُ على كلِّ البناء، فما دام شيءٌ مِنَ البناء لا يكونُ هَدمًا"[3]، والتَّخريبُ مصدرُ (خرَّبَ)، وهو التَّدمير[4]، والخَرابُ ضِدُّ العُمران[5]؛ ومن ثَمَّ آثرَ الذِّكرُ الحكيمُ فِعلَ التّهديم هنا لِما يوحي به مِن تمكُّن عداوةِ مَن يَجرؤ على تهديم بيوت العبادة في أزمان أديانها لدين الحقِّ تعالى.

العزّة والمَنَعَة:

العِزَّة: الشِّدَّةُ والغَلَبَة، والمَنَعَة: المَعقِل الّذي لا يُخلَصُ إليه

من أسماء الله تعالى (العَزيزُ)؛ "وهو: الغالِبُ القَويُّ الَّذي لا يُغلَبُ، والعِزَّة في الأصل: القوة والشِّدَّة والغَلَبة، ومِن أسماءِ الله تعالى (المُعِزُّ)، وهو الَّذي يَهَبُ العِزَّ لِمَن يَشاء مِن عِبادِهِ"[6].

و"المَنَعَةُ: المَعقِلُ، والعِزُّ، وهي مصدَرٌ كالحَرَكَة والجَلَبَة"[7]، و"مَنيعٌ: لا يُخلَصُ إليهِ في قوم مُنَعاءَ، والاسمُ المَنَعَةُ والمَنْعَةُ والمِنْعَةُ، ومَنُعَ الشَّيء مَناعَةً فهو مَنيعٌ: اعتزَّ وتعسَّر"[8]؛ ففي إيثار لفظ العزَّة

(1) الزَّبيديّ، تاج العروس: (نزل).
(2) الفيروزابادِيّ، بصائر ذوي التّمييز: (هدم).
(3) أبو البقاء، الكلّيّات، ص: 963.
(4) مختار عمر، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة: (خرب).
(5) ابن سِيدَه، المُخصَّص: 2/ 8.
(6) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر: (عزز).
(7) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (منع).
(8) ابن سِيدَه، المُحكَم: (منع).

تنبيهٌ إلى جانب الغَلَبَة المُتضمِّنة معنى القوّةِ وزيادة، ففي إيثار النَّظم الكريم وصفُ العزّةِ هنا تقريرٌ لنُصرته سبحانه وتعالى عبادَهُ المؤمنين، الّذين ينصرون دينَه ودورَ عبادتِهِ في كلِّ أُمَّةٍ من أمم الرِّسالات السَّماويَّة.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والثلاثون،
سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 34 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-76-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 34 : المجلد الرابع والثلاثون، سورة الأنبياء من الآية 89 إلى سورة الحَجّ الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-76-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3990244 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»